﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ [الزّخرف: 1 - 4]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

أتمُّ عادةٍ للقرآن الكريم اتِّصالُ خواتمِ سوَرِه بِبَوادي تَواليها، وروائحِها بِغواديها

خُتِمت السّورةُ السّابقة - الشّورى - بالحديث عن كتاب الله تعالى، وأنَّه روحٌ يُحيي دينَ مَن يؤمن به، ويعمل عليه، وأنَّه صراطُ الله المستقيم، الَّذي يدعو إليه الرَّسولُ ﷺ، ويوفِّقُ اللهُ تعالى إلى الإيمان به من يُقبِل عليه، ثمَّ جاء مطلع سورة الزُّخرف متابعًا الحديثَ عن القرآن الكريم، ومقسِمًا أنَّ الله تعالى أنزله قرآنًا عربيًّا؛ ليَفْقهَهُ العربُ، ويتأكَّدوا من كونه قرآنًا إلَهيًّا، فوقَ طاقةِ الرَّسول ﷺ.

وللبقاعيِّ كلامٌ نفيس في آخر سورة الشّورى، يقول فيه: "رجَع آخرُ السّورة على أوَّلها، وانعطف مَفْصِلُها على مَوصِلها، واتَّصل من حيثُ كونُه في الوحي الهادي في أوَّل الزُّخرف، على أتمِّ عادةٍ لهذا الكتابِ المنير، مِن اتِّصال الخواتم فيه بالبوادي، والرَّوائح بالغَوادي"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡمُبِينِ﴾: (بين) أصلٌ واحِدٌ، وهو بُعدُ الشَّيءِ وانكِشافُهُ، فالبَيْنُ الفِراقُ، يُقالُ: بانَ يَبينُ بَينًا وبَينونَةً، وبانَ الشَّيءُ، وأبانَ؛ إذا اتَّضَحَ، وانكَشَفَ، وفُلانٌ أبيَنُ مِن فُلانٍ، أي: أوضَحُ كَلامًا مِنهُ[2]، وقد جاءت كلُّ مفردات التَّراكيب القرآنيَّة لاشتقاقات مادَّة (بين) - عدا الظَّرف (بين) - بمعنى الوضوح والظُّهور، وبان الشَّيءُ: اتَّضَح؛ فهو بَيِّن، والبَيان: ما بُيِّن به الشَّيءُ من الدَّلالة وغيرها: ﴿قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ﴾ [آل عمران: 118]، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾ [البقرة: 160] أي:

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 375.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بين).

بَيَّنوا الَّذي جاءهم من الله، فلم يكتموه، والبيِّناتُ الَّتي أنزلها اللهُ تعالى: ما بَيَّنَ من أمر نبوَّة محمَّد ﷺ ومَبْعثِه وصفته في الكتابين التَّوراة والإنجيل، ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [البقرة: 87] هي ما أُظْهِر على يديه من الحُجَج والدَّلالة على نبوَّته[1]، ومعنى ﴿ٱلْمُبِينِ﴾: الواضح الظّاهر.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يُقْسِم الحقُّ ﷻ بالقرآن الكريم، ذي اللُّغة الفصيحة والبيان العالي، عمّا فيه من راقي المعاني - على أنَّه ﷻ أنزل الكتاب العزيز الواضح، المُرْشِدَ إلى طريق الحقِّ والسَّعادة باللُّغة العربيَّة البليغة، لغةِ المُنَزَّل إليهم؛ ليَفهموا خصائصَه الفريدةَ، ومعانيَه السَّديدةَ، وأحكامَه الرَّشيدة، فإنَّهم بلغته أعرف، ولبيانه أفقه، وإنَّ هذا القرآن عند الله تعالى ذو مكانةٍ رفيعة، وشرفٍ كبير، وقدر عالٍ، وأحكام سديدة، وحِكَمٍ حكيمة، وهو مُحْكَم لا ينسخُه غيرُه، بل هو باقٍ كتابَ حُكْمٍ وتشريعٍ، فأصلُه في اللَّوح المكنون المحفوظ؛ للإشارة إلى كمال الحفظ، وعظيم الرِّعاية، وتمام العناية به.

أصـلُ الـقـرآن الكريم في اللَّوح المحفوظ، الَّذي لا يبلغه أحدٌ، ولا تمتدُّ إليه يَدٌ

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

معنى (الواو) في: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾:

(الواو) في قوله تعالى: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ واوُ القَسَم؛ يُقْسِمُ ﷻ بالكتاب الَّذي مِن أخصِّ صفاتِه الإبانةُ عن معانيه وأحكامه وأخلاقِه، وفي هذا القَسَم دليلٌ على عظَمة هذا الكتاب، وأنَّه حقيقٌ بالإيمان به، والأخذِ بما فيه، فهو منهجُ حياةٍ عقيدةً وشريعةً، وقال بعضُ العلماء: إنَّ قولَه تعالى: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ معطوفٌ على ﴿حمٓ﴾ المُقْسَم به، وبين هَذَين المتعاطِفَيْنِ اختلافٌ واتِّفاق، فهُما

القَسَمُ بالكتاب المُبين يَـدلُّ على أنَّ عنصر الإبانة فيه مِـن أخـصِّ صفاته

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (بين).

مختلفان؛ لأنَّ أحدَهما رمزٌ وإشارة، وهو ﴿حمٓ﴾، والآخرَ كلامٌ بَيِّنٌ القصدِ واضحُ الدَّلالة، وهو (الكِتابِ المُبينِ)، وهما متَّفقان؛ لأنَّ الخَفيَّ والجَلِيَّ - كلاهما من عند الله تعالى، ومن كلام الله ﷻ، قال: وممّا يُستأنس به في هذا المقام، أنَّه قد جاء بعد هذا القَسَم، نفيُ صفةِ الكهانة عن الرَّسول الكريم، وأنَّ ما يقوله من ألفاظ لا يفهمون دلالتها - كهذه الحروف المُقَطَّعة - ليس هو من قبيل كلام الكُهّان الَّذي يَجيء كلُّه رموزًا وطلاسمَ، وإنَّما هو قول رسول كريم، تلقّاهُ وحيًا مُنَزَّلًا من ربِّ العالَمين[1]، فـ "إن جُعِلَت ﴿حمٓ﴾ قَسَمًا؛ كانت الواوُ عاطفةً، وإن لم تُجعَل قَسَمًا؛ فالواو للقَسَم"[2]، وفي "القَسَم بالقرآن تنويهٌ بشأنه، وهو توكيدٌ لِما تضمَّنه جوابُ القَسَم؛ إذ ليس القَسَم هنا برافعٍ لتكذيب المُنكرين؛ إذ لا يُصَدِّقون بأنَّ المُقْسِم هو اللهُ تعالى، فإنَّ المخاطَبَ بالقَسَم هم المنكِرون، بدليل قوله: ﴿لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾"[3].

بلاغةُ التَّناسب في القَسَم:

القرآنُ الكريم هو النَّمط الَّذي لا يبلغ مستوى عربيَّتِه وإبانته كتابٌ آخر

من العجيب في هذا القَسَم أنَّ المُقْسَم به والمُقْسَم عليه واحدٌ، فالقَسَم بـ (الكتاب المبين)، والمُقْسَم عليه كونُه ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا﴾، أي: مبينًا؛ ممّا يُقرِّر بلوغَه في صفة الإبانة والإعرابِ غايةَ الغايات، وأنَّه النَّمطُ الفريد الَّذي لا يبلغ مستوى عربيَّته وإبانته كتابٌ آخَرُ على الإطلاق، وأنَّه بلغ في جانب الإبانة والإعراب ما جعله جديرًا بأن يُقْسِمَ الخالقُ العظيم سبحانه به عليه، فسبحانَ مَن هذا كلامُه! يقول الزَّمخشريُّ: "وهو من الأيمان الحَسَنَة البديعة؛ لِتَناسُبِ القَسَم والمُقْسَم عليه، وكونِهما من وادٍ واحد"[4]، قال ابن المُنَيِّر: "ووجهُ التَّناسُب فيه أنَّه أقسَمَ بالقرآن، وإنَّما

(1) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 13/ 103.
(2) الشّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 626.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 159.
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 236، والطّيبيّ، فتوح الغيب: 14/ 96.

يُقسَم بعظيم، ثمَّ جعل المُقسَم عليه تعظيمَ القرآن بأنَّه قرآنٌ عربيٌّ، مَرْجوٌّ به أن يَعقِل به العالِمون، أي: يتعقَّلوا آياتِ الله تعالى، فكان جوابُ القَسَم مُصَحِّحًا للقَسَم"[1].

دلالة (ال) في: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾:

القرآنُ الكريم هو الجدير بأن يُقسِم اللهُ تعالى به؛ وذلك لِما أودع فيه من أسرار

المقصودُ بالكتاب في جملة القَسَم: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ هو "القرآن، ومعناه: وربِّ الكتاب، أو: والكتابِ، ولله ﷻ أن يُقْسِم بما شاء، وإن لم يكن ذلك لغيره مِن خَلْقه"[2]، و(الـ) في ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ عهديَّةٌ، تَلْفُت الأذهانَ إلى القرآن الكريم المُدوَّن في المصاحف، فهو (الكتاب) الجدير بأن يُقسَم به؛ لأنَّه الَّذي: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فُصِّلت: 42]، وهو فقط من بين الكُتب السَّماويَّة الجديرُ بأن يُقْسِم اللهُ تعالى به، ممّا يُؤَكِّدُ تَفرُّدَه في خصائصه ومزاياه، وما أودع اللهُ تعالى فيه من الأسرار، وقد قيل: "المراد بالكتاب الكتابةُ والخَطُّ، أقسمَ بالكتابة لِكثرة ما فيها من المنافع، فإنَّ العلوم إنَّما تكامَلَتْ بسبب الخطِّ؛ فإنَّ المُتقدِّم إذا استنبط علمًا، وأثبتَه في كتاب، وجاء المُتأخِّر، ووقفَ عليه؛ أمكنَه أن يزيد في استنباط الفوائد، فبهذا الطَّريق تكاثَرتِ الفوائدُ، وانتهت إلى الغايات العظيمة"[3].

نُكْتَةٌ وصفِ الكتاب بـ ﴿ٱلْمُبِينِ﴾:

القرآنُ الكريم باهِرٌ مُبْهِرٌ في كلِّ جوانبه، وأعظَمُها فيه جانبُ الإبانة

ومعنى ﴿ٱلْمُبِينِ﴾: أنَّه "أبان طُرقَ الهُدى من طُرق الضَّلالة، وأبان ما تحتاج إليه الأُمَّة في أبواب الدِّيانة"[4]، وأنَّه "بَيِّنٌ الحروفِ، وبَيِّنٌ الهدى والرَّشدِ والبَركةِ، واللهُ تعالى قد بَيَّنَ فيه أحكامَه

(1) ابن المنيِّر، الانتصاف: 4/ 235.
(2) الماورديّ، النّكت والعيون: 5/ 214.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 616.
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 236.

وحلالَه وحرامَه، وفي هذا موضع القَسَم"[1]، في وصف (الكتاب) بـ ﴿ٱلۡمُبِينِ﴾ إشاراتٌ جليلةٌ، منها: لفْتُ الكفّار من المُخاطَبين به - وهم أهل البلاغة - إلى ما ينفرد به القرآنُ الكريم من بيان، فهُم أدرى النّاسِ بما فيه؛ لتمام عربيَّتِهم وتأهُّلِهم للغَوصِ على دقائقه، فيعلمون بذلك دليلَ صِدقِ نسبتِه إلى الله تعالى، وحقًّا لقد بهرهم إلى درجة أنَّهم يعادون الرَّسولَ ﷺ نهارًا، ثمّ يَتَخَفَّون ليلًا؛ ليستمعوه منه تحت جُنْحِ الظَّلام؛ لِما يجدون من لذَّةٍ ببيانه وجمالِ إعرابِه عن معانيه، ومن تلك الإشارات كذلك: أنَّ جانب الإبانةِ في (الكتاب) أبرزُ صفاتِه على الإطلاق.

أجل، إنَّ خصائصه كثيرة ومبهرةٌ لأهل التَّخصُّصات جميعًا، لكنَّ الإبانة فيه أعمُّ وأشملُ؛ بحيثُ لا تخلو منها آيةٌ ولا كلمةٌ من كلماته.

دلالة (ال) في: ﴿ٱلۡمُبِينِ﴾:

مع وجوب تعريف ﴿ٱلۡمُبِينِ﴾ نعتًا لـ (الكتاب)؛ لموافقة التَّعريف فيه، تُصرِّح (الـ) في ﴿ٱلۡمُبِينِ﴾ بتفرُّد هذا (الكتاب) من بين غيره من الكتب بميزة الإبانة بذلك المستوى الباهر، وأنَّ غيره من الكتب المتَّسِمة بِسِمة البيان؛ إذا قيست به؛ كانت إبانتُها كَلا إبانةٍ، وإذا قورنت إبانتُها بإبانته؛ طَمَسَها، وأطفأ نورَها، وهي في ذلك كالشَّمس بالنِّسبة لأنوار البشر؛ إذا طلعت، وجاء نورُ الله تعالى؛ جعل أنوارَهم ظلمات.

إذا قِيسَ كلُّ بيانٍ ببيان القرآن الكريم صار كأنَّه ظلمة

دلالةُ صَوغِ الوصف ﴿ٱلۡمُبِينِ﴾ اسم فاعل:

من اللّافت بقوَّةٍ في وصْف ﴿ٱلۡمُبِينِ﴾ صَوْغُه اسمَ فاعل؛ إذ يُقرِّر أنَّ صفة البيانِ ميزةٌ لهذا (الكتاب)، ليست فقط من جهة أنَّه بيِّنٌ واضح جليُّ المعاني والأحكام وغيرِها، بل وإلى ذلك هو (مبين)، أي: كاشِفٌ عن أسرارٍ بعيدةِ الغَور لِمَن تدبَّره، وكان أهلًا للغَوص

القرآن الكريم بيِّنٌ في نفسه، مُبينٌ لِحِكَمِه وأحكامه

(1) الماورديّ، النّكت والعيون: 5/ 214.

على تلك اللَّطائف والأسرار الدَّقيقة العميقة، وهذا عملُ أهل البيانِ مع القرآن بتوفيق الرَّحمن ﷻ، والقرآنُ الكريم إلى ذلك "مُبينٌ بين الحلال والحرام، وما يُؤتى، وما يُتَّقَى، مبين بين الحقِّ والباطل، مبين بأنَّه من الله تعالى، ليس هو من تأليف البشر، ولا من توليدهم، ولكنَّه من الله تعالى حيثُ عجزوا عن إتيان مثله"[1].

دلالةُ الجملةِ الاسميَّة في: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ﴾:

إيثارُ التَّعبير بالجملة الاسميَّة: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ دونَ الفعليَّة في جواب القَسَم، كما لو قيل: (والكتاب المبين لقد جعلناه قرآنًا عربيًّا) يُهيِّئ لدخول (إنَّ)، ويجمع بينها وبين اسميَّة الجملة؛ فيُحقِّقان وكادَةَ الخبرِ، وثبوتَه ودوامه، وخُلوَّه من عنصر الزَّمان – الماثل في الفعليَّة – والزَّمان مارٌّ غيرُ قارٍّ[2] ولا مستقرٍّ.

كونُ القرآنِ الكريم مُبينًا حقيقةٌ ثابتةٌ دائمةٌ لا تتبدَّل

موقعُ جملة: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾:

جاءت جملةُ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ جوابَ القَسَم السّابقِ عليها مباشرةً في قوله تعالى: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾، وبها تتأكَّد جدارةُ البيانِ القرآنيِّ، بأن يكون قَسَمًا ومُقسَمًا عليه معًا.

البيانُ القرآنيُّ جدير بأن يكون قَسَمًا ومُقْسَمًا عليه معًا

معنى (إنَّ) في: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ﴾:

(إنَّ) في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ توكيديَّةٌ، ويبدو أنَّ غايتها ليست انتزاعَ شكٍّ وقَرَ في نفس المخاطَبين مِن كفّار قريش، وإنَّما جاءت لتقريعهم، ولَيِّ أعناقِ قلوبِهم إلى تدبُّر البيان القرآنيِّ، وكأنَّها تقول لهم: أنتم لا تعرفون هذا البيانَ المُعْرِبَ عمّا تحتَه من كنوز، وكأنَّ عربيَّتَكم ناقصةٌ، وذلك يؤلمُهم حقًّا؛ لأنَّ البيان الأصيل أغلى ما يملكون، وله أقاموا الأسواقَ الأدبيَّةَ، وعقدوا المحاكمَ الشِّعريَّة، فهُم أولى النّاسِ بفهم بيان (الكتاب المبين)،

تأكيدُ المقرَّر تقريعٌ للمُخاطَب وتُهمةٌ لعقله، وقد يكون تأكيدُه لخطورةٍ في ذاته

(1) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 9/ 145.
(2) الجرجانيّ، التّعريفات، ص: 187.

وعربيَّةِ هذا القرآنِ العربيِّ، فإذا أُكِّدَ لهم الإخبارُ بذلك؛ قَرَّعَهم، وعَرَّض بغبائهم، ومَن يفهم ذلك؛ إن لم يفهموه؟ وإلى ذلك أيضًا تقولُ: (إنَّ) بخطورة الخبر، وأهمِّيَّته في ذاته بغضِّ النَّظر عن وجود منكِر، وقد قالوا في دواعي التَّوكيد: "وقد يَكونُ التَّأكيدُ مِن جِهَةِ أنَّ القَضيَّةَ في نَفْسِها مِمّا يُهْتَمُّ به، وإن لَم يَكُن هُناكَ مُنْكِرٌ"[1].

دلالةُ التَّعبيرِ بضمير العظَمة في: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ﴾:

العظيمُ يُبدِع العظيمَ؛ لذا جاء بيانُ الله تعالى عظيمًا

التَّعبيرُ بضمير العظَمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ يُلْمِحُ إلى عظَمة البيان القرآنيِّ، وعُلوِّ درجةِ إعرابِه عن مقاصده ومعانيه وأحكامه؛ إذ إنَّ العظيم يُبدِع العظيم، فلا بُدَّ من أن يأتيَ كلامُ العظيم وبيانُه عظيمًا، عظَمةً تلائمُ عظمتَه، والقرآنُ كلامُ الله تعالى، وكلامُ الله تعالى يحمل صفاتِ قائلِه ﷻ، فكان "صَرْفُ القولِ إلى مَظهر العظَمة تشريفًا للكتاب ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ﴾، أي: صَيَّرناه، ووضعناه، وسمَّيْناه مطابقةً لحاله بالتَّعبير عن معانيه بما لنا من العظَمة"[2].

سرُّ إيثار التَّعبير بالجَعْل في: ﴿جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا﴾:

إنزالُ القرآن الكريم عربيًّا مُبينًا أمرٌ مقصودٌ قَصْدُه

إذا كان المقصود بالجَعْل في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾: أنزلناه، وسمَّيناه قرآنًا، ونَظَمْناه بالعربيَّة[3]، ففي إيثار التَّعبير بالجَعْل دونَ الإنزال أو التَّسمية تنبيهٌ إلى أنَّ خصيصة القُرآنيَّةِ المُعْرِبة المُبينة في (الكتاب المبين) مقصودٌ قَصْدُها، ودليلُ ذلك: خُلوُّ الكتبِ السَّماويَّة الأُخرى من تلك الميزة؛ ذلك أنَّها كانت كُتُبَ عقائد وشرائع، ولا يُقصد بها التَّحدّي، بخلاف (الكتاب المبين) الَّذي كان ولا زال، وسيظلُّ عُمدةَ التَّحدّي للثَّقلَين جميعًا إلى يوم القيامة، في كلِّ جوانبه اللُّغويَّة والشَّرعيَّة وغيرهما مطلقًا.

(1) العسقلانيّ، فتح الباري: 1/ 74.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 378.
(3) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 9/ 145.

دلالةُ صيغة الماضي ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾ في السّياق المحكم:

الخصائصُ التَّركيبيَّة في الذِّكر الحكيم تُقرِّر أنَّه غيرُ حادث ولا مخلوق

في صَوغ فعل الجَعْل ماضيًا في جملة: ﴿جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا﴾ إلماحٌ إلى قِدَم (الكتاب المبين)، وأنَّه غيرُ حادث ولا مخلوق؛ لأنَّه كلام الله تعالى، وكلامُ الله تعالى يحمل صفتَه ﷻ، وهكذا تفوح الخصائصُ التَّركيبيَّة بما يُقرِّر دقَّةَ التَّلاقي والتَّناغم بين معاني الدّين الحقِّ وأحكامِه، ويُؤكِّد أنَّه الدّين الحقُّ، وأنَّ كتابه المبين هو الكتابُ الخالد، معجزةٌ باهرة على صفحة الزَّمان وامتداد المكان.

معنى (لعلّ) في: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾:

غايةُ جَعْلِ القرآن (عربيًّا) تَحقُّقُ صفةِ العقل عند الكفّار

(لعلّ) في قوله تعالى: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تعليليَّةٌ؛ إذ تدلُّ على أنَّ غاية جَعْل القرآن ﴿عَرَبِيًّا﴾ تَحَقُّقُ صفةِ العقل عند المخاطَبين من الكفّار، قال أبو السُّعود: "﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ جوابٌ للقَسَم، لكن لا على أنَّ مرجعَ التَّأكيدِ جَعْلُه كذلكَ - كما قيلَ - بل ما هو غايتُه الَّتي يُعربُ عنها قولُه تعالى: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، فإنَّها المحتاجةُ إلى التَّحقيقِ والتَّأكيدِ؛ لكونها مُنْبِئَةً عنِ الاعتناءِ بأمرِهم، وإتمامِ النِّعمةِ عليهم، وإزاحةِ أعذارِهم، أي: جعلنا ذلكَ الكتابَ قُرآنًا عربيًّا؛ لكي تفهموه، وتحيطوا بما فيهِ من النَّظمِ الرّائقِ والمعنى الفائق، وتقفوا على ما يتضمَّنُه من الشَّواهدِ النّاطقةِ بخروجِه عن طَوقِ البشرِ، وتعرفوا حقَّ النِّعمةِ في ذلك، وتنقطعَ أعذارُكم بالكلّيَّةِ"[1].

و(لعلَّ) في الأصل حرفُ رجاء، وفي كلام الله تعالى حرفُ تَرْجيَة، وقد أوثِر هنا على حرف التَّعليل (اللّام)؛ لِبَثِّ روح الرَّجاء في المخاطَبين أن يبلغوا درجةَ العقل، فينتفعوا بعربيَّة القرآن الكريم، وبِبيانه وفصاحته في الاستدلال على صِدق محمَّد ﷺ في نسبته القرآنَ الكريم إلى مصدره الحقِّ، وأنَّه كلام الله تعالى، والمعنى:

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 39.

﴿جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾؛ "رجاءَ أن تعقِلوا، أو لِتعقلوا، وذلك يرجع إلى قوم مخصوصين قد عقلوه، وفهموه؛ إذ لم يعقلوه جميعًا، ولا يُتَصَوَّرُ أن يُنزلَه؛ ليعقلوه، ولا يعقلوه، فإنَّ ما أراد الله تعالى يكون لا محالةَ، وما فَعَّل ينفعل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النّحل: 40]، أو: لكي يَلزمَهم أن يعقلوه، ويتَّبعوه؛ ليزولَ عُذرُهم، والاحتجاجُ على الله تعالى أنَّه كان على غير لساننا، وعلى هذا يخرج تأويل (لعل) في جميع القرآن أنَّه للتَّحقيق؛ إذا كان من الله تعالى، فَإن قيلَ: فعلى التَّأويل الأخير، كيف يخرج قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾ [البقرة: 189]، لا يستقيم أن يقال: لكي يلزمَكم أن تفلحوا؟ قيل: معناه: لكي يلزمَكم السَّببَ الَّذي به تُفلحون، وهو مباشَرةُ الإيمان والطّاعات، والله أعلم"[1].

مرجعُ ضمير الخطاب في: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾:

المخاطَبون في جملة: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ هم العربُ، ثمَّ مَن وراءَهم من النّاس إلى يوم القيامة، فمِنهم من عقَل، وفَقِه، وآمَن، وهؤلاء المؤمنون الموفَّقون، ومنهم مَن عقَل، وحَقَد، وصَدَّ، وهؤلاء محجوبونَ بالجُحود، ومنهم من لم يعقل، ولم يفهم، وهؤلاء محجوبون بأسبابهم، وكلُّ مَن بلغتهم الدَّعوةُ مِن هؤلاء وهؤلاء كافرون مخذولون مُؤاخذون، فتأتي جملة ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ مُقَرِّعَةً لهم، حاضَّةً على أن يُعمِلوا عقولَهم، ويستثمروا تفكيرَهم في سبيل الوقوف على الحقائق الباهرة في (الكتاب المبين)، فمن أعمل عقلَه في تدبُّر (الكتاب المبين) بمنأى عن الهوى؛ وصل، وإلّا خُذِل.

مَن أعمل عقلَهُ في تدبُّر الكتاب المبين بمنأى عن الهوى؛ وصَل، وإلّا خُذِل

دلالةُ التَّعبير بالعقل في: ﴿تَعْقِلُونَ﴾:

في التَّعبير بالعقل في جملة: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ دليلٌ على "أنَّ

(1) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 9/ 145.

العقل هو الوسيلة الَّتي يُتَوَسَّلُ بها إلى الإفادة من القرآن، وأنَّ مَن يجيء إليه مُتخلّيًا عن عقله، غيرَ متدبِّرٍ لآياته، لا يَنال من خيره شيئًا"[1]، ويقول الرّازيُّ: "قوله: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يدلُّ على أنَّ القرآنَ معلوم، وليس فيه شيء مبهمٌ مجهول، خلافًا لمن يقول: بعضُه معلوم، وبعضُه مجهول"[2].

العقلُ هو الوسيلة التي يُتَوَسَّلُ بها إلى الإفادة من القرآن

نُكْتَةُ المضارعة في: ﴿تَعْقِلُونَ﴾:

المضارعة في الفعل ﴿تَعْقِلُونَ﴾ تدعو إلى استثمار نِعمة العقل في كلِّ وقت وحين، وإلى تحريك العقل وتجديد الفكرِ، وعدمِ إهمال أنواره أبدًا، فإنَّ إحياء التَّفكير بالعقل وتنشيطَ التَّدبُّر في القرآن الكريم المبين المعرِب عن كنوزه يُثمر التَّقوى، ويغذّي البصيرةَ، وينتج الفِكَرَ الرَّصين، ويوصِلُ إلى الاستدلال على صِدق نسبته إلى الحقِّ ﷻ.

إعمالُ العقلِ في القرآن الكريم يُثمِر التَّقوى، ويغذو البصيرة، ويُنتجُ الفِكْرَ الرَّصين

لطيفةُ حذفِ المفعول في: ﴿تَعْقِلُونَ﴾:

جاء الفعل ﴿تَعْقِلُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ غير مقيَّدٍ بمعمول مخصوص، وذلك يحتمل كونه لازمًا، والمعنى: لعلَّ نعمة العقل تحصُل لكم، ولعلَّ عقولَكم تكتمل، وتزدهر ببيان (الكتاب المبين).

النَّظرُ في الكتاب المبين يُكمِّل نعمةَ العقل لأصحابه، ويوقفُهم على باهر أسراره

ويحتمل كونه متعدّيًا إلى مفعولٍ محذوف، تقديرُه: لعلَّكم تعقلون ما في القرآن العربيِّ المبين من الحَقِّ والهُدَى والصَّواب، ممّا يدعوكم إليه رسولُنا ﷺ، وتعقلون ما فيه صلاحُكم وفلاحُكم، فتعتنقوه؛ فَنُمِدُّكُم بالتَّوفيق والتَّسديد والإنجاح.

بلاغةُ التَّعريض في: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾:

في قول الله تعالى: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تعريضٌ بالكفّار، وبإهمالهم نعمةَ العقلِ الَّتي منحهم اللهُ تعالى إيّاها، وأنَّهم

(1) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 13/ 105.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 617.

"بمكابرتهم كانوا كمن لا يعقلون"[1]، فيهبطون عن رُتبة الإنسانيَّة الَّتي كَرَّمَهم اللهُ تعالى بها، ويَبوؤون لذلك بإثم تعطيل نعمةِ العقل الكبيرة، كذلك في جملة: ﴿لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ تحذيرٌ كِنائيٌّ بأنَّهم إن لم يَعقلوا الحقيقةَ من هذا الكتاب العربيِّ المبين؛ فلن يعقلوها أبدًا، فإنَّه سبيل إدراكها.

من أهمل نعمةَ العقل كمَن حُرِمَها أصلًا، ويبقى عليه إثمُ تعطيلها

معنى (الواو) في: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا﴾:

(الواو) في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ "عطفٌ على جملة: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا﴾، فهو زيادةٌ في الثَّناء على هذا الكتاب ثناءً ثانيًا؛ للتَّنويه بشأنه رفعةً وإرشادًا"[2]، فجملة: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ "داخلةٌ تحت معنى القَسَم، أو مستأنَفَةٌ مقرِّرة لِما قبلها"[3].

زيادةُ الثَّناء على هذا الكتاب؛ للتَّنويه بشأنه رفعةً وإرشادًا

دلالةُ (إنَّ) في: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾:

(إنّ) في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ﴾ توكيديَّةٌ، اقتضاها شكُّهم في سماويَّةِ القرآن الكريم، ولعلَّ شكَّهم في هذا زهَّدهم في تدبُّره والوقوفِ على دلائل صِدقه؛ فجاءت (إنَّ) لإزالة ذلك الشَّكِّ، ورفعِ الحُجُب عن أبصارهم؛ حتّى يُنعِموا النَّظرَ في (الكتاب المبين)، وما دام مُبينًا فجدوى النَّظر فيه قريبةٌ محقَّقةٌ إن شاء الله تعالى.

جـدوى النَّـظر في الكتاب المبين قريبة محقَّقة إن شاء الله تعالى

مرجعُ ضمير الغائب المنصوب في: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾:

ضميرُ الغائب المنصوب في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يعود إلى القرآن الكريم السّابقِ ذِكْرُه في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا﴾، أو إلى ما يكون مِن الخَلْق من طاعةٍ ومعصية، وإيمانٍ أو كفر[4]، فهذا وذلك مدوَّنٌ عند الله تعالى، لا تمتدُّ إليه يدٌ، فيُزاد في أيٍّ منهما، أو يُنقَص.

كلٌّ مِن القرآن الكريم وأعمالِ العِباد محفوظٌ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 159.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 162.
(3) القِنَّوجيّ، فتح البيان في مقاصد القرآن: 12/ 328.
(4) الماورديّ، النّكت والعيون: 5/ 215.

معنى ﴿فِيٓ﴾ في قوله: ﴿فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٞ﴾:

الظَّرفيَّةُ تُقرِّر حفظَ القرآن من كلّ تغيير أو تبديل

﴿فِيٓ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٞ﴾ ظرفيَّةٌ، تُقرِّر انتماءَ القرآن الكريم إلى ﴿أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، أي: اللَّوح المحفوظ، وأنَّ القرآن الكريم مكنونٌ محفوظ؛ لا يمكن لأحد أن يَزيد فيه، أو يُنقص منه؛ اتِّساقًا مع قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر: 9].

نُكْتَةُ التَّقييد بـ: ﴿فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا﴾:

القرآنُ جامعٌ لأحوال المُحْدَثات، فكأنَّه المشتملُ على جميع ما يقع

جاء التَّقييد بالقيدين: ﴿فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا﴾ دحضًا لزعم المشركين أنَّ (الكتاب المبين) مِن اختلاق الرَّسول ﷺ، فيقول لهم: "إن كذَّبتُم به يا أهلَ مكَّة، فإنَّه عندنا شريفٌ رفيعُ القَدْرِ، مُحْكَمُ النَّظم، في أعلى طبقات البلاغة ودرجات الفصاحة، لا يوجَد فيه اختلافٌ ولا تناقض"[1]، وإنَّه "عندنا في مكان قُدسيٍّ، مُحاطٌ بكمال التَّقدير والتَّعظيم والحفظ، كما أنَّه رفيعُ الشَّأن، جليلُ القَدْر، تسمو منزلتُه بين سائر الكتب المُنَزَّلة؛ لإعجازه واشتماله على عظيم الأسرار، ومُحْكَم التَّشريعات، وجميلِ السَّجايا، وكريمِ الشَّمائل والأخلاق"[2]، "وإنَّما خَصَّه اللهُ تعالى بهذا التَّشريف؛ لكونه كتابًا جامعًا لأحوال جميع المُحْدَثات، فكأنَّه الكتابُ المشتمِلُ على جميع ما يقع في مُلك الله ومَلكوته، فلا جَرَمَ حصل له هذا التَّشريف"[3].

حكمةُ تقديم: ﴿فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا﴾ **على الخبر:**

للقرآن مصدرٌ مُقدَّس عند الله تعالى نُسخ منه، فلا يمكن العبثُ فيه

قُدِّم القيدانِ بالجارِّ والمجرور والظَّرف ﴿فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا﴾ على الخبر ﴿لَعَلِيٌّ حَكِيمٞ﴾؛ لأهمِّيَّتِهما في هذا السِّياق؛ إذِ التَّقديمُ ينتزع الشَّكَّ، ويُطَمئِن المخاطَبين إلى صِحَّة نسبةِ (الكتاب المبين)

(1) القِنَّوجيّ، فتح البيان: 12/ 328.
(2) مجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 9/ 784.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 618.

إلى مصدره العُلْوِيِّ، وأنَّه كتابٌ مكنون مصون في أُمِّ الكتاب عند الله تعالى، وتقديمُ القَيدَين في ذلك "يفيد بادئ بَدْءٍ أنَّ عُلوَّه وحِكْمَتَه ثابتةٌ في الأُمِّ، وأنَّ الأُمَّ في غايةِ الغرابة عنده ﴿فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، أي: كائنًا في أصلِ كلِّ كتابٍ سماويٍّ، وهو اللَّوح المحفوظ، وزاد في شرفه بالتَّعبير بـ (لدى)، الَّتي هي لخاصِّ الخاصِّ، وأغربِ المستغرَب، و(نون العظَمة)، فقال مُرَتِّبًا للظَّرف على الجارِّ؛ ليُفيدَ أنَّ أُمَّ الكتابِ من أغرب الغريب الَّذي عنده، ﴿لَدَيۡنَا﴾"[1].

لطيفةُ الإضافة إلى ضمير العظَمة في: ﴿لَدَيۡنَا﴾:

الإضـافـةُ إلى ضمير العظَمة يُـبـيِّن مقتضى حالِ المخاطَبين

من أعظم أسباب الوثوق في عُلوِّ قدرِ (الكتاب المبين) أن يَعرف المخاطَب أنَّ (الكتاب المبين) محفوظٌ عند الحفيظ ﷻ، وقد كانت مشكلةُ قريشٍ إنكارَ كونِه من عند الله تعالى، ولم تكن مشكلتُهم الإلحادَ وإنكارَ الإلهِ من أصله، وقد كانوا يقولون عن الأصنام: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: 3]؛ لذلك كانَتْ إضافةُ اللَّدُنِّيَّة إلى ضمير العظَمة في قوله تعالى: ﴿فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا﴾ مطلبًا ضروريًّا يَفي بمتطلَّبات مقتضى الحال، فإن لم يؤمنوا؛ فخسرانُهم عليهم، و"لا يضيره تكذيبُ المُكَذِّبين، ولا طعنُ الطّاعنين"[2].

بلاغةُ الاستعارة، وما وراءَها من كناية في: ﴿أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾:

على النّـاس أن يـوَقِّـروا الـقـرآنَ الكريم توقيرَهم لأُمَّهاتِهم

﴿أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ هو "اللَّوح المحفوظ، وهذا فيه تشريفٌ للقرآن وترفيع"[3]، كما قال: ﴿فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢﴾ [البروج: 22]، وهو الكتاب الَّذي كتبَ اللهُ فيه مقاديرَ الخَلْق قبلَ أن يخلقَهم، ولا يعلم حقيقتَه إلّا الله، وأُمُّ الشَّيء: أصلُه، ومنه يُقال لمكَّة: أُمُّ القُرى؛ لأنَّها أصل البلاد[4]، "أو أنَّ القرآن في الكُتُب

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 380.
(2) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 13/ 60.
(3) ابن عطيّة، التّحرير والتّنوير: 9/ 358.
(4) السّمعانيّ، تفسير السّمعانيّ: 1/ 31.

المتقدِّمة، فإنَّ الأُمَّهات سُمِّيت أُمَّهات؛ لتَقَدُّمها على الولد، وهو كقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الشّعراء: 196]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [الأعلى: 18 - 19]"[1]، وعلى ذلك: ففي ﴿أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ استعارةٌ تصريحيَّة؛ إذ استُعير لفظُ الأُمِّ للأصل، وهذه الاستعارة تُحَقِّقُ المبالغةَ في تأكيد أصالة الكتاب الكريم في انتمائه إلى العِلْم الإلهيِّ الأزليِّ، ووراءَ ذلك دلالاتٌ كنائيَّةٌ لُزوميَّةٌ، منها: وجوبُ الاحتفاء بـ (الكتاب المبين)، وتوقيره وتبجيله، احتفاءَ الأبناء بأُمِّهم وتوقيرِهم وتبجيلِهم إيّاها.

براعةُ الكناية في مفردة الكتابة:

مفردةُ الكتابة في قوله تعالى: ﴿أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ "بمعنى المكتوب، أي: المُحَقَّق الموَثَّق، وهذا كنايةٌ عن الحقِّ الَّذي لا يَقبل التَّغيير؛ لأنَّهم كانوا إذا أرادوا أن يُحقِّقوا عهدًا على طول مُدَّةٍ كتبوه في صحيفة[2].

في حفظ المكتوب بالكتابة ضمانٌ لسلامته من التَّغيير والتَّبديل

وذلك يدلُّ دلالةً قاطعة على أنَّ في الكتابة ضمانًا لسلامة المكتوب من التَّغيير والتَّبديل؛ وذلك يدلُّ على أنَّ (الكتاب المبين) سالمٌ من التَّبديل والتَّغيير، والزِّيادة والنُّقصان، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: 9]، وأصل الكَتْب: ضَمُّ أديمٍ إلى أديمٍ بالخياطة، وحُمِلَ عليه ضَمُّ الحروفِ بعضِها إلى بعض بالخطِّ، وقد يقال ذلك للمضموم بعضُها إلى بعض باللَّفظ، فالأصلُ في الكِتابَةِ: النَّظمُ بالخَطِّ، لكن يُستعارُ كلُّ واحد للآخر، ولهذا سُمِّي كلامُ الله – وإن لم يُكْتَبْ – كتابًا كقوله: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة: 1 - 2]، وقوله: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [مريم: 30]، ويُعبَّر عن الإثبات والتَّقدير والإيجاب والفَرْض والعَزْم بالكِتابَةِ، ووجهُ ذلك: أنَّ الشَّيء يُراد، ثمَّ يقال، ثمَّ يُكْتَبُ، فالإرادة مبدأ، والكِتابَةُ منتهى،

(1) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 9/ 146.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 160.

ثمَّ يُعبَّر عن المراد الَّذي هو المبدأ؛ إذا أُريدَ توكيدُه بالكتابة، الَّتي هي المنتهى، قال: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ [المجادلة: 21][1].

دلالةُ تلاحق المؤكِّدات:

تـوقـيرُ الـقـرآن الكريم حتمٌ لا تهاوُنَ فيه

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ عامرٌ بعناصر التَّأكيد، من (إنّ)، و(اللّام)، واسميَّة الجملة، وتتمثَّل مقتضيات هذا الحشد من المُؤكِّدات بالنِّسبة للمؤمنين في دعم معاني الاحتفاء والاحتفال في نفوسهم بعظَمة الخبرِ المُؤكَّد (عليٌّ حكيم)، أي: إنَّه خبر في ذاته جديرٌ بألّا يُساق غفلًا، ومَثَلُ (الكتاب المبين) في وجوب توقيره مَثَلُ الرَّئيس أو الأمير الَّذي ينبغي إضفاءُ هيبةِ السُّلطان عليه، فلا يتجوَّل وحدَه، وإن كان بين أحبابه، ولا يُخشى منهم عليه شَرًّا، ولا يدخلُ على المحافِل مُفردًا بلا تشريفة، وقد سبق عن ابن حجر أنَّه قال: "وقد يكون التَّأكيد مِن جهة أنَّ القضيَّة في نفسها ممّا يهتمُّ به، وإن لم يكن هناك منكِرٌ"[2].

وتتمثَّلُ مقتضياتُ هذا الحشد من المُؤكِّدات بالنِّسبة للكافرين في أنَّهم "كانوا ينكرون تعظيمه عنادًا، وإن كانوا يُقِرّون بذلك في بعض الأوقات، قال مؤكِّدًا لذلك: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ ﴿لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾، وتنبيهًا على أنَّه أهلٌ لأن يُقسَم به، ويُزادَ في تعظيمه؛ لأنَّه لا كلامَ يُشبِهُه، بل ولا يدانيه بوجه"[3].

لطيفةُ الجمع بين ﴿لَعَلِيٌّ﴾، و﴿حَكِيمٌ﴾:

مـن المـعـاني القرآنيَّة ما لا يبلغُها أنبلُ النُّبلاء، إلّا بتفهيم العليِّ الكبير سبحانه

في الجمع بين صفتَي العُلوِّ والحِكْمة في قوله تعالى: ﴿لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ دقيقُ الدَّلالة؛ إذ لمّا كان العَلِيُّ قد لا تَصحبُه في عُلوِّه حِكمةٌ – فلا يثبت له عُلوُّه، فيتهوَّر بنيانُه – قال: ﴿حَكِيمٌ﴾، أي: بليغٌ في

(1) الرّاغب، المفردات: (كتب).
(2) العسقلانيّ، فتح الباري: 1/ 74.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 380.

كلٌّ مِن هاتين الصِّفتَين، راسخٌ فيهما رسوخًا لا يُدانيه فيه كتاب، فلا يُعارَض في (عليّ) لفظُه، ولا يُبارى في ﴿حَكِيمٌ﴾ معناه، ويعْلو، ولا يُعْلَى عليه بِنسخ ولا غيره، بل هناك مكتوبٌ بأحرفٍ وعبارات فائقةٍ رائقة، تعلو عن فَهْم أعقل العقلاء، ولا يمكن بوجه أن يبلغها أنبلُ النُّبلاء، إلّا بتفهيم العَلِيِّ الكبير، الَّذي هو على كلِّ شيء قدير[1].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 381.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والخمسون،
سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والخمسون، سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 53 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-644-66-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 53 : المجلد الثالث والخمسون، سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-644-66-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4811073 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"